مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X

الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

المجلد16/العدد: 1 (2022)، ص37-58
Vol 16 / N°: 1 (2022)، page37-58

المذهب المالكي مذهب المشارقة والمغاربة
(المدارس الفقهية المالكية)

The Malikischoolis the school of the Mosharqa and the Moroccans
(Malikischools of jurisprudence)

أحمد عوماري
إمام أستاذ/ دكتوراه شريعة وقانون

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهمية وحدة المرجعية الفقهية ودورها في تماسك الشعوب والمجتمعات، وفي مواجهة العقبات والتحديات، على المستوى العالمي والوطني. فكان من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور المدارس الفقهية المالكية عاملان: أولهما شخصية إمام المذهب المزدوجة(فقه/حديث). وثانيهما انتشار المذهب واتساع بقعته الجغرافية وتباينها. مما أدى إلى انتشار المذهب المالكي شرقا وغربا عن طريق مدارسه المختلفة، وساعد على ذلك كثرة أصوله وخصوبة قواعده. حيث أفرز ذلك فقها ثريا خصبا ناضجا، شاملا ومؤهلا لتغطية مجالا أوسع زمانا ومكانا.

الكلمات المفتاحية (المذهب المالكي، المدارس الفقهية، المشارقة ، المغاربية ،المرجعية)

Abstract :This research aims to stand on the importance of the unity of jurisprudential reference and its role in the cohesion of peoples and societies، and in facing obstacles and challenges، at the global and national levels. Two of the most important factors thatled to the emergence of the Maliki schools of jurisprudence were: the first is the dual personality of the imam of the school of thought (jurisprudence / hadith). The second is the spread of the doctrine and the widening and variation of its geographical area. This led to the spread of the Malikischool of thought، east and west، through its various schools، and helped

by the large number of itsorigins and the fertility of itsrules. As this produced a rich، fertile، mature jurisprudence، comprehensive and qualified to cover a broaderfield of time and space.

Keywords :(Malikischool، schools of jurisprudence، Mashraqa، Maghreb، reference)

●مقـــدمة

تبوأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى مكانة عالية علميا وسلوكيا؛ أكسبته سمعة كبيرة اشتهرت في الآفاق، مما جعل جمعا من العلماء يرَوْنه المعني بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة.**"(الترمذي والحاكم، والطبراني)

ولذلك كثر عدد القاصدين لمالك طلبا للعلم: ومنهم علماء أكابر وأئمة فطاحل، أخذوا العلم والفقه وعادوا إلى أوطانهم، فخدموا فقه الإمام مالك وأصلوا له، ونشروه ونقلوه إلى من بعدهم، وهكذا ظهرت ما عرف بمدارس المذهب المالكي.

ويجدر بالذكر أن وحدة التمذهب يربط بين أفراد الأمة وجماعتها؛ وهم من بقاع متباعدة، ومن أجناس متباينة، وظروفهم مختلفة. وأن وجود المدارس الفقهية فيها مراعاة لخصوصية كل منهم مع اجتماعهم على المذهب الواحد، ومن هنا ندرك أهمية دراسة مثل هذه المواضيع.

ولذا يهدف البحث إلى الوقوف على أهمية وحدة المرجعية الفقهية ودورها في تماسك الشعوب والمجتمعات، وفي مواجهة العقبات والتحديات، على المستوى العالمي والوطني.

وإشكالية البحث تتمثل أساسا في سؤالين: أولهما: **ماهي الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي إلى درجة إلى تكونت له مدارس مشرقا ومغربا؟وثانيهماما هي العلاقة بين المدرسة المالكية المغاربية وغيرها من المدارس ببلاد المشرق؟**

وللإجابة على ذلك سلكت خطة تتألف من مبحثين تندرج ضمنهما جملة من المطالب:

- المبحث الأول: المدلول العام للمدارس الفقهية المالكية وعوامل نشأتها.
  - ✓ المطلب الأول: مفهوم المدارس الفقهية المالكية.
  - ✓ المطلب الثاني: عوامل نشأة المدارس الفقهية المالكية.
- المبحث الثاني: التعريف المفصل بمختلف المدارس الفقهية المالكية.
  - ✓ المطلب الأول: المدارس الفقهية المالكية ببلاد المشرق (المدينة/العراق/ مصر).
  - ✓ المطلب الثاني: المدارس الفقهية المالكية ببلاد المغرب (القيروان/ الأندلس).

المبحث الأول: المدلول العام للمدارس الفقهية المالكية وعوامل نشأتها

لقد عدوا الآخذين عن مالك إلى ما يزيد على الألف وثلاث مائة (1300) آخذا[1] كما سبق في المقدمة. وكانوا هم السبب في نشأة المدارس الفقهية المالكية.

وسيتم التعرض لمفهوم المدارس الفقهية المالكية في المطلب الأول من هذا البحث. وفي المطلب الثاني يتم التعرض للعوامل التي أدت إلى نشأة تلك المدارس.

المطلب الأول: مفهوم المدارس الفقهية المالكية

يتم البحث من خلال هذا المطلب في بيان المقصود بمصطلح المدارس الفقهية المالكية، وحتى يتم ذلك لا بد قبل ذلك من التعرض إلى ترجمة الإمام مالك بن أنس رحمه تعالى.

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرون؛ ما بين:1965/1983م، مطبعة فضالة – المحمدية/ المغرب، ط الأولى، ج02 ص170.

الفرع الأول: ترجمة إمام المذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى

هو الإمام مالك، بن أنس، بن مالك، بن أبي عامر(صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم)، بن عمرو الأصبحي، وهم من حِمْيَرَ؛ اليمنيين القحطانيين. وأمه العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية؛ أحد الأئمة الأربعة من أصحاب المذاهب الفقهية المتبعة. ولد في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين من الهجرة[2].

أخذ العلم عن فقهاء المدينة من كبار التابعين، منهم ابن هرمز وربيعة وابن نافع وغيرهم. وكان متحريا جدا فيمن يأخذ عنه العلم والحديث، وكان يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. قال بن هرمز لجاريته يوماً: من بالباب؟ قالت: مالك، فقال: ادعيه فإنه عالم الناس. وخاطبه جمع من مشيخة المدينة قائلين:ما بقي على ظهرها يعني الأرض أعلم بسنة ماضية ولا باقية منك يا مالك. وقال بن مهدي ما بقي على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك[3].

كان إماما في الفقه والحديث، يعظم العلم ويبجله، وكان ذا هبة ووقار. بارك الله في علمه فانتشر وذاع، وشدت إليه الرحال من مختلف البقاع، فأخذ العلم عنه أئمة وأعلام كبار. كتب الموطأ وغيره من المصنفات. وتوفي رحمه الله يوم الأحد في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة[4].

---

(2) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت 463ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ ورقم الطبع، ص 10.

(3) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت 799ه)، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون ترقيم وتاريخ الطبع، ج01 ص110.

(4) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، صفحات44/19 وما بعدهما، مصدر سابق.

الفرع الثاني: التعريف بمصطلح المدارس الفقهية المالكية

المدارس لغة جمع مدرسة، وهي محل الدراسة. وتطلق المدرسة أيضا على رأي علمي أو اتجاه فكري تنتمي إليه مجموعة معينة من العلماء أو المفكرين[5].

والمدارس الفقهية المالكية هي عبارة عن مختلف الاتجاهات والخصائص الفقهية التي سلكها الآخذون عن الإمام مالك من مختلف البلاد والأمصار، ممن اتخذوا من آراءه الفقهية وأصوله المذهبية مسلكا لهم في العلم والعمل والفهم والاستنباط[6].

فقد خدم هؤلاء الآخذون فقه الإمام مالك وأطروه وأصلوا له، وطَبع كل منهم المذهب بطابع خاص؛ حسب ظروف الزمان والمكان، وما يراه مناسبا، وحسب منهجه وتكوينه الخاص. كل ذلك في ظل الإطار العام للمذهب وأصوله الكبرى، فأُثْري بذلك المذهب حتى أصبح مركزا علميا، وصرحا فقهيا يغطى مختلف البلاد والأقاليم بالتنوير والإرشاد والتبيين[7].

وكانوا يطلقون على المدرسة الطريقة، وجمعها طُرُق، كما جاء في مقدمة ابن خلدون(ت 808هـ 1406م) في سياق حديثه عن انتشار مذهب الإمام مالك قوله: " وتميزت للمذهب المالكي ثلاث

---

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة، ج01 ص280. بدون تاريخ ورقم الطبع.

(6) انظر: مفردات المدرسة الفقهية التواتية المالكية، د مبروك مصري/جامعة أدرار، أعمال الملتقى الدولي الثالث عشر بعنوان: المذهب المالكي: تاريخ وآفاق نوفبر 2010م منشورات جامعة أدرار العدد الثالث، المطبعة العر تقدبية 11 بغرداية – الجزائر، ص459 ومابعدها. ص428/426.

(7) المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين/الإمارات، الطبعة الأولى، 1422هـ 2002م، ص45. اصطلاح المذهب عند المالكية، محمد إبراهيم علي، دار البحوث للدراسات الإسلامية لإحياء التراث، الإمارات العربية/دبي، الطبعة02، 1423هـ/2002م، ص58/57.

طرق: للقرويين وكبيرهم سحنون الآخذ عن ابن القاسم، وللقرطبيين وكبيرهم ابن حبيب. الآخذ عن مالك ومطرف وابن الماجشون وأصبغ. وللعراقيين وكبيرهم القاضي إسماعيل وأصحابه .."[8].

وجاء في مواهب الجليل للحطاب(ت954 هـ 1547م) شرح مختصر خليل، عند قول العلامة الخليل(ت749هـ1348م) - وهو يعد نواقض الوضوء -: "(وبسلس فارق أكثر) .. مَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ السَّلَسِ لَا يُنْقَضُ مُطْلَقًا، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْعِرَاقِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِنَا ... وَالْمَشْهُورُ مِنْ الْمَذْهَبِ طَرِيقَةُ الْمَغَارِبَةِ أَنَّ السَّلَسَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ..."[9].

المطلب الثاني: عوامل نشأة المدارس الفقهية المالكية

إضافة إلى مكانة الإمام مالك ومقامه المشهود علميا وسلوكيا، فإن هناك عدة عوامل أدت إلى ظهور المدارس الفقهية المالكية المختلفة، أهمها عاملان: شخصية الإمام العلمية/ واختلاف بلاد تلامذته.

الفرع الأول: عامل الشخصية العلمية المزدوجة للإمام مالك (فقه/حديث)

عُرف الإمام مالك بالحديث، وهو من أجل أئمة الحديث، ومن أوائل من صنف فيه حيث ألف فيه كتابه الموطأ [10]. إضافة إلى ذلك فقد كان فقيها متمكنا، حتى قالوا: "لا يفتى ومالك في المدينة."

(8) مقدمة بن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808)هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 1427هـ 2007م، ج01 ص459.

(9) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب (ت 954هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1992م، ج01 ص291.

(10) ترتيب المدارك، ج02 ص72. مصدر سابق. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج01 ص118، مصدر سابق.

فكان أن غلب على بعض تلامذته جانب الفقه والدراية [11]، بينما غلب على آخرين جانب الحديث والرواية [12].

الفرع الثاني: عامل اختلاف البلاد للآخذين عن الإمام مالك

يعد اختلاف البيئات العلمية لتلامذة الإمام مالك- مع كثرتهم - من العوامل المهمة التي أدت إلى بروز مدارس مختلفة في بعض الاتجاهات الفقهية، فالبيئة بالعراق وما ما كانت تعج به من مذاهب وفرق ونحل؛ تختلف عن البيئة بالمدينة حيث فطاحل السنة من أبناء أحفاد الصحابة والتابعين، وهذه تختلف عن البيئة بالقيروان حيث الديار البعيدة، وحيث أهلها لا يزالون أقرب إلى الفطرة ولم تخالطهم التيارات والأفكار المختلفة[13].

المبحث الثاني: التعريف المفصل بمختلف المدارس الفقهية المالكية

يتضمن هذا المبحث عرضا لسائر المدارس الفقهية المالكية، وما يتعلق بها من حيث النشأة، ومن حيث الخصائص والسمات إلى غير ذلك. سواء منها تلك المدارس الواقعة ببلاد المشرق، أو تلك المتواجدة ببلاد المغرب.

---

(11) مثل عبد الرحمن بن القاسم، الذي قال فيه مالك حينما سئل عنه وعن ابن وهب: " ابن وهب رجل علم، وابن القاسم فقيه ". ومثل عبد الله بن نافع الصائغ الذي تولى الفتوى بالمدينة خلفا للإمام مالك؛ لكنهم ذكروا أنه لم يكن صاحب حديث. انظر في ابن القاسم: سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405 هـ / 1985م، ج07 ص547. وانظر في مطرف: الديباج المذهب،ج01 ص409، مصدر سابق.

(12) طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476هـ)، تهذيب محمد بن مكرم ابن منظور (ت711هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1970، ج01 ص68. ترتيب المدارك، ج1 ص78. مرجع سابق.

(13) انظر: مقدمة ابن خلدون ج01 ص457، مصدر سابق.

المطلب الأول: المدارس الفقهية المالكية ببلاد المشرق (المدينة/ العراق/ مصر)

هناك عدة مدارس مالكية تواجدت ببلاد المشرق منذ أن ظهر الإمام مالك وسطع نجمه في سماء الفقه والمعرفة؛ بداية بالمدينة مسقط رأس الإمام مالك، ثم ببلاد العراق شمالا، إلى بلاد مصر غربا. فتكون المدارس المالكية المشرقية ثلاث مدارس.

الفرع الأول: المدرسة المدنية

بما أن الإمام مالكا نشأ وترعرع بالمدينة المنورة وتلقى علمه من علمائها من فطاحل التابعين؛ فقد كان من الطبيعي أن تكون له بها قاعدة فقهية تمثلت في المدرسة المدنية.

وقد بدأت نشأة المدرسة المدنية من حياة الإمام، لكنها تعززت وازدهرت بكثرة الآخذين عن الإمام وعلو مستواهم الفقهي والعلمي بصفة عامة من التلامذة المدنيين: من امثال عبد الملك بن الماجشون(ت 213هـ 828م)[14]،ومُطَـرِّف بن عبد الله(ت 220هـ 835م)[15]، وعبد الله بن نافع الصائغ(ت 186هـ 802م)[16]...وغيرهم. لكن لم يبق من تراث المدنيين غير آراءهم المبثوثة في أمهات المذهب، مثل المدونة والواضحة [17].

---

(14) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وكان فقيهاً فصيحاً، دارت عليه الفتوى في أيامه إلى موته وعلى أبيه قبله، تفقه على أبيه وعلى مالك وابن أبي حازم وغيرهم. طبقات الفقهاء، ج01 ص148، مصدر سابق. وترتيب المدارك، ج03 ص136. مصدر سابق.

(15) مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري الهلالي أبو مصعب، وهو بن أخت مالك بن أنس الإمام. وكان فقيها ثقة. وهناك اختلاف يسير في تاريخ وفاته. الديباج المذهب ج02 ص340، مصدر سابق. ترتيب المدارك، ج03 ص135. مصدر سابق.

(16) عبد الله بن نافع المعروف بالصائغ كنيته أبو محمد، كان أعلم الناس بفقه مالك، قيل لمالك من لهذا الأمر بعدك؟ قال ابن نافع وقد أصبح مفتي المدينة بعد وفات مالك، الديباج الذهب، ج01 ص410، مصدر سابق. ترتيب المدارك، ج03 ص129. مصدر سابق.

(17) ترتيب المدارك، ج03 ص 229 وما بعدها، مصدر سابق. الانتقاء، ص 57/52، مصدر سابق.

ومن خصائص المدرسة المدنية أنها تقدم الأخذ بالحديث عن الأخذ بالأثر وعمل أهل المدينة. ولم تعمر المدرسة المدنية طويلا، فقد تلاشت مع نهاية القرن الرابع الهجري على يد الرافضة العبيديين؛ لكن عاد المذهب المالكي للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري على يد أحد القضاة بها من أعلام المالكية وهو العلامة الإمام علي ابن فرحون[18].

الفرع الثاني: المدرسة العر اقية

رغم أن العراق هي بلد الإمام أبي حنيفة وكان قد انتشر بها مذهبه؛ إلا أنه وبسبب انتقال بعض أعلام المالكية للعراق من جهة، وبسبب رحلة العراقيين أنفسهم وأخذهم العلم عن فقهاء وأعلام كبار من تلامذة الإمام مالك من جهة أخرى: من أمثال عبد الرحمن بن مهدي(ت198هـ 813م)[19]،وعبد الله بن مسلمة القعنبي(221هـ 835م)[20] انتشر بها المذهب المالكي لدرجة أن تأسست بها مدرسة من مدارسه، لها أعلامها وخصائصها، والتي عرفت بالمدرسة العراقية[21]. إلا أن

(18) انظر: الديباج المذهب، ج02 ص124. مصدر سابق. واصطلاح المذهب عند المالكية،ص65، مرجع سابق.

(19) عبد الرحمان بن مهدي بن حسان العنبري أبو سعيد البصري، كان عالما بالحديث، ثقة صادقا ورعا، أخذ الفقه والحديث عن مالك ومن في طبقته. ترتيب المدارك، ج03 ص202 وما بعده، مصدر سابق.

(20) عبد الله بن مسلمة بن قعنب شيخ الإسلام الحافظ أبو عبد الرحمن الحارثي القعنبي المدني: نزيل البصرة ثم مكة،. قال الإمام مالك حينما دخل عليه القعنبي: "قوموا بنا إلى خير أهل الأرض " انظر: الديباج المذهب، ج01 ص4مصدر سابق12، وتذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م، ج01 ص281.

(21) اصطلاحات المذهب. ص66/65.

وجود عاصمة الدولة العباسية بالعراق، وتمذهبها بمذهب مالك كان له الدور الأهم في تمكنها وازدهارها[22].

وقد رست المدرسة العراقية وازدهرت مع تلامذة ابن المعذل[23]:أمثال القاضي إسماعيل بن اسحاق (282هـ 895م)[24] ، وأخوه حماد(ت 267هـ 880م)[25]،وغيرهما وبتلامذتهم بعد ذلك[26].

ومن خصائص المدرسة العراقية أنهم اعتنوا بجانب الاستدلال والتأصيل والخلاف والترجيح نظرا لما تتطلبه المنطقة لكونها مليئة بالفرق والمذاهب والنحل، فكتبوا في ذلك مؤلفات

(22) المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، ص81، مرجع سابق.

(23) لا يوجد تاريخ وفاته، وهو أحمد بن المعذل بن غيلان البصري ، قال فيه الدارقطني : الفقيه المتكلم. وكان مفوهاً ورعاً، متبعاً للسنة، وكان من الفقه والدين بمكان. وله مصنفات، ترتيب المدارك. ج04 07، مصدر سابق. سير أعلام النبلاء، ج09 ص409، مصدر سابق.

(24) اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل ابن حماد بن زيد، وهو من آل حماد: العائلة التي خدمت الفقه والعلم وظل العلم بها قرابة ثلاثة قرون، قال أبو بكر بن ثابت: كان اسماعيل فاضلاً عالماً. متفنناً فقيهاً، على مذهب مالك. ترتيب المدارك، ج04 ص 276 وما بعدها.، مصدر سابق.

(25) حماد بن إسحاق شقيق إسماعيل القاضي كنيته أبو إسماعيل. تفقه على ابن المعذل وبرع وتقدم في العلم وألف كتباً كثيرة منها: المهادنة وكتاب الرد على الشافعي.. ترتيب المدارك، ج04 ص 294، مصدر سابق. الديباج المذهب، ج01 ص 341. مصدر سابق.

(26) من أمثال أبي بكر الأبهري والقاضي عبد الوهاب وابن الجلاب وابن القصار وغيرهم. انظر: المدرسة المالكية العراقية نشأتها خصائصها أعلامها، عبد الفتاح الزنيفي، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، (منعقد ما بين: 19/13 محرم 1424 موافق 22/16 مارس2003)، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي/الإمارات العربية، الطبعة الأولى:1425هـ 2004م، ج01 ص557 وما بعدها. ترتيب المدارك. ج04 صفحات ما بين: 16/05. مصدر سابق.

وموسوعات، منها: كتاب الرد على محمد بن الحسن للقاضي إسماعيل، وكتاب عيون الأدلة لابن القصار، وكتاب الإشراف على نكت الخلاف للقاضي عبد الوهاب[27].

تراجعت المدرسة العراقية بالعراق بداية من هجرة القاضي عبد الوهاب(ت422هـ 1030م)[28] إلى مصر في نهاية القرن الرابع الهجري. لكن مع ذلك ساهمت المدرسة العراقية كثيرا في تطور المذهب وازدهاره ولا تزال حاضرة بأعمالها وآثارها الفقهية إلى اليوم[29].

الفرع الثالث: المدرسة المصرية

كان من أجلّ من أخذ العلم عن الإمام مالك المصريون: ومن أشهرهم عبد الرحمن بن القاسم(ت191هـ 806م)[30] ، وعبد الله بن وهب(197هـ 218م)[31]،وأشهب بن عبد العزيز(204هـ 819م)[32] ، وغيرهم... فبعد السنوات الطوال من ملازمتهم لمالك، عادوا إلى مصر يحملون فقه

---

(27) ترتيب المدارك، ج07 ص222، مصدر سابق. المدرسة المالكية العراقية، ج01 ص577، مرجع سابق.

(28) عبد الوهاب بن علي بن نصر القاضي أبو محمد، أحد أئمة المذهب الكبار، أخذ عن شيوخ عدة. ألف في المذهب والخلاف والأصول تواليف بديعة مفيدة، ترتيب المدارك، ج07 ص220 وما بعدها. مصدر سابق

(29) ترتيب المدارك. ج07 ص2020. مصدر سابق. اصطلاح المذهب عند المالكية، ص70، مرجع سابق.

(30) عبد الرحمن بن القاسم العتقي أبو عبد الله، وأصله من فلسطين، من الرملة وسكن مصر، قال فيه النسائي: "ابن القاسم ثقة رجل صالح، سبحان الله ما أحسن حديثه وأصحّه عن مالك، ولم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت من ابن القاسم، ...". انظر: ترتيب المدارك،ج03 ص244 وما بعدها، مصدر سابق. وسير أعلام النبلاء، ج07 ص 547.مصدر سابق.

(31) عبد الله بن وهب بن مسلم القريشي الفهري، فقيه وحافظ من أعلام الحديث. له تصانيف عديدة،. ترتيب المدارك، ج03 ص 228 وما بعدها، مصدر سابق. الديباج المذهب، ج01 ص414، مصدر سابق.

(32) اسمه مسكين وأشهب لقب له بن عبد العزيز بن داود الجعدي. من ولد جعدة بن كلاب بن ربيعة ابن عامر، وانتهت إليه رئاسة الفقه بمصر بعد وفات ابن القاسم. ترتيب المدارك، ج03 ص 262، مصدر سابق. الديباج المذهب، ج01 ص307، مصدر سابق.

مالك، وأخذ عنهم الفقه بمصر أعلام وفقهاء من امثال عبد الله بن الحكم(ت 150هـ 829م)[33]،فكان بذلك نشأة المدرسة المصرية[34].

ومن خصائص المدرسة المصرية أنها تميزت بالأخذ بأقوال الإمام مالك، كما تميزت بتقديمها الأخذ بعمل أهل المدينة[35]على خبر الآحاد واشتهرت بذلك[36]، ومن آثار المدرسة المصرية المدونة لابن القاسم، والموازية لمحمد بن المواز، ومختصرات ابن عبد الحكم[37].

المطلب الثاني: المدارس الفقهية المالكية ببلاد المغرب (القيروان/ الأندلس)

تنقسم المدرسة المالكية ببلاد المغرب إلى مركزين أساسين: أحدهما شمالا بالأندلس، والآخر جنوبا بالقيروان. ونتناول بالبحث هذين المركزين، مع التطرق لخصائص المدرسة ومميزاتها عموما.

الفرع الأول: مدرسة الأندلس

من أهم قلاع المدرسة المالكية ببلاد المغرب؛ بلاد الأندلس، والتي انتقل إليها المذهب المالكي في وقت مبكر ، وتقريبا في نفس الزمن الذي وصل إلى القيروان أو بعده بشيء قليل، وهو النصف

---

(33) عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث، ، كان رجلاً صالحاً ثقة متحققاً بمذهب مالك فقيهاً صدوقاً عاقلاً حليماً وإليه أفضت الرياسة بمصر بعد أشهب، له مصنفات أشهرها مختصرات بن عبد الحكم. ترتيب المدارك، ج03 ص 364، مصدر سابق. الديباج المذهب، ج01 ص 419، مصدر سابق.

(34) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، صفحات ما بين:52/48، مصدر سابق.

مقدمة ابن خلدون، ج01 ص459، مصدر سابق.

(35) عمل أهل المدينة أصل من أصول المذهب المالكي، وهو أنواع: أهمها ما ذكره عياض بقوله: "..النقل والحكاية الذي تؤثره الكافة عن الكافة وعملت به عملاً لا يخفى ونقله الجمهور عن الجمهور عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم". ترتيب المدارك ج01 ص47، مصدر سابق.

(36) اصطلاح المذهب عند المالكية.ص72، مرجع سابق.

(37) مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا، بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوبع، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1429هـ 2008م، ص38.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريَّة الجزائريَّة الديمقراطيَّة الشَّعبيَّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد16/العدد: 1 (2022)، ص37-58
Vol 16 / N°: 1 (2022)، page37-58

الثاني من القرن الثاني. لأن الطبقة الأولى الذين أخذوا فقه مالك إلى الأندلس كانوا من ممن أخذوا العلم عن الإمام مالك مباشرة.

ويُعد زياد بن عبد الرحمن(193هـ 808م)- الملقب بشبطون- أهم هؤلاء وأجلهم، فهو أول من نقل موطأ مالك وفقهه إلى الأندلس. جاء في الديباج: "كان زياد أول من أدخل الأندلس موطأ مالك متفقهاً بالسماع عنه ثم تلاه تلميذه يحيى بن يحيى. وكان أهل المدينة يسمون زياداً: فقيه الأندلس"[38].

وأما يحي بن يحي الليثي(ت234هـ 848م) فيعد أهم حلقة مكَّنت للمذهب المالكي في مرحلته الأولى بالأندلس، فقد أخذ الفقه عن مالك مباشرة، وروى عنه كتابه الموطأ، ثم رحل إلى مصر[39].

وواصل الأعلام من تلامذة يحيى بن يحيى في خدمة المدرسة المالكية بالأندلس: ومنهم عبد الملك بن حبيب(ت238هـ 852م) صاحب كتاب الواضحة في الفقه والسنن، والتي تعتبر في المركز الثاني في المذهب بعد المدونة، قال في الديباج: "عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي.. أصله من طليطلة وانتقل جده سليمان إلى قرطبة... وألف كتباً كثيرة حساناً في الفقه والتاريخ والأدب.. الخ"[40]. ومنهم محمد بن أحمد العتبي(255هـ 869م)، صاحب مصنف المستخرجة وتسمى العتبية. وجاء من بعده تلميذه محمد بن عمر ابن لبابة (ت 314هـ 926م)،صاحب الدور الكبير في خدمة الفقه المالكي بالأندلس، حيث كان إمام زمانه في الفقه، وظل المرجع في الأحكام والفتيا مدة ستين سنة[41].

---

(38)الديباج المذهب، ج01 ص 370. مصدر سابق.
(39)ترتيب المدارك، ج03 ص380. مصدر سابق.
(40) الديباج المذهب، ج02 ص 11. مصدر سابق. مقدمة ابن خلدون، ج01 ص458. مصدر سابق
(41) الديباج المذهب، ج02 ص 189 وما بعدها. مصدر سابق

وقد ظهر بعد ذلك بالأندلس أعلام كبار من فقهاء المالكية: مثل العلامة يوسف بن عمر بن عبد البر(ت 463هـ 1070م)[42]، والإمام محمد بن عبد الله المعروف بأبي بكر بن العربي (ت 543هـ 1148)[43]،وغيرهم.

الفرع الثاني: مدرسة القيروان

تعتبر القيروان[44] أول معاقل المدرسة المالكية بإفريقيا وأهمها، لأن الرعيل الأول من طلبة الإمام مالك المغاربة نزلوا بالقيروان واستوطنوها في بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وكان قبل ذلك يوجد بها مذهب الإمام أبي حنيفة.

وفي مقدمة أولئك الطلبة على بن زياد التونسي(ت 183هـ 799م) صاحب السبق في انتشار المذهب المالكي بالمغرب، قال في ترتيب المدارك: " قال أبو العرب: علي بن زياد من أهل تونس ثقة مأمون (خير) متعبد بارع في الفقه ممن يخشى الله عز وجل مع علوه في الفقه ... "[45].وغيره من أصحاب هذه الطبقة ممن أخذوا عن الإمام مالك[46].

---

(42) قال ابن فرحون: "حافظ شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته وأحفظ من كان فيها لسنة مأثورة... وألف في الموطأ كتباً مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد الديباج، ج02 ص 367 وما بعدها.. مصدر سابق.

(43) قال ابن فرحون: "...الإمام العلامة الحافظ المتبحر ختام علماء الأندلس... وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها ... ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة... وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة...". الديباج، ج02 ص 252 وما بعدها. مصدر سابق.

(44) مدينة القيروان،. بناها وأسسها فاتح المغرب؛ الأمير القائد عقبى بن نافع رضى الله عنه، وكان ذلك أثناء خلافة معاوية رضى الله عنه سنة 55هـ. معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)دار صادر، بيروت/لبنان،، الطبعة: الثانية، 1995م، ج04 ص 420.

(45) ترتيب المدارك، ج03 ص80 وما بعدها، مصدر سابق.

(46) منهم البهلول بن راشد القيرواني، وصقلاب بن زياد القيرواني، ومحمد بن عبد الله القيرواني... ترتيب المدارك، ج03 من ص65 إلى ص112، مصدر سابق. وانظر: المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد16/العدد: 1 (2022)، ص37-58
Vol 16 / N°: 1 (2022)، page37-58

ثم جاء من بعد هؤلاء الإمام أسد بن الفرات(ت 213هـ 828م)؛ صاحب الفضل الأول في تأليف المدونة، وقد أدرك مالكا وأخذ عنه وسمع منه الموطأ، بعد أن تفقه أولا على يد علي بن زياد، كما أخذ الفقه عن أصحاب أبي حنيفة في العراق، وكان عالما نحريرا، وكان شجاعا غازيا[47].

ومن أجل أعلام هذه الطبقة- الطبقة الثانية- ممن يعد المؤثر الأكثر في تطور المدرسة المالكية بالقيروان والأندلس وازدهارها الإمام عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون، وولده محمد بن سحنون.

أما الإمام سحنون(240هـ 854م) فهو علم من أبرز أعلام المذهب عموما، وهو صاحب المدونة - المصدر الأول من مصادر المذهب- قال الإمام الذهبي: " الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، فَقِيْهُ المَغْرِبِ، أَبُو سَعِيْدٍ عَبْدُ السلام ... ارْتَحَلَ وَحَجَّ. وَسَمِعَ مِنْ سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَالوَلِيْدِ بنِ مُسْلِمٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ وَهْبٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ... قال: مَا بُوْرِكَ لأَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَصْحَابِهِ مَا بُوْرِكَ لِسَحْنُوْنَ فِي أَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُم كَانُوا فِي كُلِّ بَلَدٍ أَئِمَّةً."[48].

وأما ولده محمد بن سحنون(ت 256هـ 869م) فلم يكن أقل شأنا بكثير من أبيه، فقد واصل خدمة المذهب بعد والده، قال فيه ابن فرحون: "كان إماماً في الفقه ثقة عالماً بالذب عن مذاهب أهل المدينة عالماً بالآثار صحيح الكتاب لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه "، ألف مصنفات من أبرزها كتابه الجامع والذي هو موسوعة في مختلف العلوم، في نحو ستين مجلدا[49].

القيروان، محمد بن الهادي أبو الأجفان، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب، ج01 ص 227 وما بعدها، مرجع سابق.

(47) ترتيب المدارك، ج03 ص291 وما بعدها، مصدر سابق. الديباج المذهب، ج01 ص302. مصدر سابق

(48) سير أعلام النبلاء، ج09 ص 463، مصدر سابق.

(49) ترتيب المدارك، ج04 ص46، مصدر سابق. الديباج المذهب، ج02 ص169، مصدر سابق.

وحينما دخل القرن الرابع الهجري قيض الله علما آخر من أئمة المذهب؛ عُرف ولقب بمالك الصغير ، وهو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني. قال فيه الإمام الذهبي: "الإِمَامُ العلَّامة القُدْوَةُ الفَقِيْهُ، عَالِمُ أَهْلِ المَغْرِبِ... وَيُقَالُ لَهُ: مَالِكٌ الصَّغِيْرُ"(50).

ومن وسائل المدرسة التي ساهمت في خدمة المذهب وانتشاره؛ وجود مراكز علمية في مختلف المناطق الجغرافية للمدرسة، وأهمها جامع عقبي بن نافع بالقيروان (جامع القيروان)، وجامع الزيتونة بتونس(51).

الفرع الثالث: خصائص المدرسة المالكية بالقيروان والأندلس

بدخول عدد من أصحاب مالك أرض القيروان والأندلس (بالنسبة للقيروان وإفريقيا وحدها أخذ عنه ما يزيد عن الثلاثين أو الأربعين)(52)، أو ممن أخذوا عن أصحابه وهم كثير. فشكلوا مدرسة مالكية في المغرب لها خصائصها ومميزاتها. ومن أهم تلك الخصائص ما يلي:

أولا: الجمع بين خصائص المدارس الأخرى

من أهم خصائص المدرسة المالكية بالقيروان والأندلس أنهم جمعوا بين منهج وخصائص المدارس الأخرى، فجمعوا بين بمنهج المدنيين في تقديم الحديث على العمل، وبين منهج المصريين في الاعتماد على العمل ورأي الإمام. إضافة إلى أخذهم بكثرة التفريعات والفرضيات، والاستدلال للمذهب ومقارنته بالمذاهب الأخرى، وهذه من خصائص المدرسة العراقية(53).

(50) سير أعلام النبلاء، ج12 ص 490، مصدر سابق. وانظر: ترتيب المدارك، ج06 ص216، مصدر سابق.

(51) المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، ج01 ص258، مرجع سابق.

(52) ترتيب المدارك،ج04 ص51، مصدر سابق. وانظر: المدرسة المالكية بإفريقية، أبو الأجفان، ج01 صفحة 227، مرجع سابق.

(53) المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، ص114، مرجع سابق.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريَّة الجزائريَّة الديمقراطيَّة الشَّعبيَّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد16/العدد: 1 (2022)، ص37-58
Vol 16 / N°: 1 (2022)، page37-58

أما جمعهم بين خاصية المدنيين في تقديمهم للحديث عن العمل، وبين خصية المصريين في تقديمهم للعمل عن الحديث؛ فقد جاء عن يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي قوله: " نهاني ابن القاسم عن إتباع ما ليس عليه العمل من الحديث، وأصاب. ونهاني ابن وهب عن كلفة الرأي، وكثرته، وأمرني بالإتباع وأصاب، رحمهما الله فكلاهما قد أصاب في مقالته.." وتقريره هذا يشير إلى جمعه بين التوجهين(54).

واجتماع هذه الخصائص وهذه الاستفادة من خصائص المدارس الأخرى، أكسبها ثراء وخصوبة، مما زادها توسعا أكثر مكانيا، وديمومة أكبر زمانيا(55).

ثانيا: انتشارها وسعة إقليمها

عند تتبع تاريخ أعلام المدرسة المالكية بالقيروان والأندلس؛ يتبين جليا ما تتميز به هذه المدرسة من سعة في ديارها، وتعدد في فروعها وأجنحتها، فهي نشأت أولا في بلاد القيروان عن طريق علي بن زياد، وامتدت لتشمل كافة تراب المغرب العربي، وقسما كبيرا من بلاد إفريقيا، كما نشأ لها قسما آخر في بلاد الأندلس، منتشرا في سائر ترابها ومدنها.

خـــاتمة

- من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور المدارس الفقهية المالكية عاملان: أولهما شخصية إمام المذهب المزدوجة(فقه/حديث). وثانيهما انتشار المذهب واتساع بقعته الجغرافية وتباينها.
- امتد المذهب المالكي شرقا وغربا عن طريق مدارسه المختلفة، وساعد على ذلك كثرة أصوله وخصوبة قواعده.

---

(54) ترتيب المدارك، ج03 ص386، مصدر سابق.

(55) المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، أبو الأجفان، ج01 صفحة269 وما بعدها، مرجع سابق.

- المدارس الفقهية المالكية استفادت من بعضها، وتكاملت فيما بينها، بسبب ارتباطهم بإمام المذهب، واجتماعهم على أصوله.
- اختفت بعض المدارس ظاهريا، واندمجت أخرى في غيرها، لكنه اندماج إطراء وتكامل، حيث أفرز ذلك فقها ثريا خصبا ناضجا، شاملا ومؤهلا لتغطية مجالا أوسع زمانا ومكانا.
- من أهم خصائص المدرسة المالكية المغاربية جمعها بين خصائص غيرها من المدارس، وذلك نظرا لعدة أسباب: منها اتساع رقعتها واختلاف بلادها مما يجعلها بحاجة لخصائص أوسع.
- التمايز بين خصائص المدارس المالكية لا يعني تعارضها، وإنما هو ثراء وتنوع إيجابي في إطار قواعد المذهب العامة، والتي هي جزء من مذاهب أهل السنة والجماعة في الفقه والدين. كما أن الاختلاف الفقهي بين المذاهب السنية هو تطور وتكامل ورحمة، لأن جميعهم تحت مظلة كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله، ورضي عن صحابته أجمعين.

المصادروالمراجع

- اصطلاح المذهب عند المالكية، محمد إبراهيم علي، دار البحوث للدراسات الإسلامية لإحياء التراث، الإمارات العربية/دبي، الطبعة02، 1423هـ/2002م.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت 463هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ ورقم الطبع.
- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرون؛ ما بين:1965/1983م، مطبعة فضالة – المحمدية/ المغرب، ط الأولى.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت 799هـ)، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون ترقيم وتاريخ الطبع.
- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405 هـ / 1985م.

- طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476هـ)، تهذيب محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ) ،تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1970.
- المدرسة المالكية العراقية نشأتها خصائصها أعلامها، عبد الفتاح الزنيفي، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، (منعقد ما بين: 19/13 محرم 1424 موافق 22/16 مارس2003)، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي/الإمارات العربية، الطبعة الأولى:1425هـ 2004م
- المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، محمد بن الهادي أبو الأجفان، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب.
- المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين/الإمارات، الطبعة الأولى، 1422هـ 2002م.
- مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا، بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتويع، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1429هـ 2008م.
- مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا، بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتويع، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى 1429هـ 2008م.
- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ) دار صادر، بيروت/ لبنان، الطبعة: الثانية، 1995م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة، بدون تاريخ ورقم الطبع.

- مفردات المدرسة الفقهية التواتية المالكية، د مبروك مصري/جامعة أدرار، أعمال الملتقى الدولي الثالث عشر بعنوان: المذهب المالكي: تاريخ وآفاق نوفمبر 2010م. منشورات جامعة أدرار العدد الثالث، المطبعة العربية 11 بغرداية – الجزائر.
- مقدمة بن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808)هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 1427هـ 2007م.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب (ت 954هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1992م.

مجلة الثقافة الإسلامية
Islamic Culture Magazine
ISSN : 2170-0869 / EISSN : 2773-398X
الجمهوريَّة الجزائريَّة الديمقراطيَّة الشَّعبيَّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
المجلد16/العـدد: 1 (2022)، ص37-58
Vol 16 / N°: 1 (2022)، page37-58